السنة الستون وخمس مئة

فيها في رجب عَمِلَ الخليفة دعوةً في الدَّار الجديدة واحتفل لها، وحَضَرَها أرباب الدولة والعلماء [والفقهاء][1] والصُّوفية والقُرَّاء، والوعَّاظ، ووعظوا، وقرؤوا، ونُصبت الموائد، عليها فنون الأَطعمة والحلوى، وغنَّى المغنون، ورقص الصُّوفية نهارهم وليلتهم، ثم خَلَعَ على جميع من حَضَر، وصار ذلك رسماً [مقرراً][1] في كل سنة في رجب.

[وذكر جدي في «المنتظم»، قال][1]: وفي عيد الأضحى ولدت امرأة من درب هارون [يقال لها بنت أبي العز الأهوازي][1] أربع بنات، وماتت المرأة ومعها بنت أخرى[2].

وتوفي الوزير يحيى بن هُبيرة، وقُبِضَ على وَلَدَيْه، وحاجبه ابن تركان، وحبسوا في دار أُستاذ الدار.

وفيها فتح نورُ الدِّين بانياس عَنْوَةً، وكان معه أخوه نصير الدِّين[3] أمير أميران، فأصابه سَهْمٌ، فأَذْهَبَ إحدى عينيه، فقال له نور الدين: لو كُشِفَ لك عما أَعدَّ الله لك من الأَجْر لتمنَّيْتَ ذَهَاب الأخرى.

وكان ولد معين الدِّين أُنَر، الذي سَلَّم أبوه بانياس إلى الفرنج، قائماً على رأس نور الدِّين، فقال له نور الدين: للنَّاس بهذا الفَتْح فرحةٌ واحدة، ولك فرحتان. قال: يا مولانا، ولِمَ؟ قال: لأَنَّ اليوم بُرِّدْتَ جِلْدة أبيك من نار جهنم.

وفيها فوَّضَ نورُ الدِّين شِحْنكيَّة دمشق إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب [على ما قيل][1]، فأظهر السِّياسة وهذَّب الأمور، فقال عرقلة: [من المتقارب]

رُوَيْدَكُمُ يا لصوصَ الشَّآم ... فإنِّي لكُمْ ناصحٌ في مقالي

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) «المنتظم»: ١٠/ ٢١٠.

(٣) كذا في (ع) و (ح)، وفي «الروضتين»: ١/ ٤٣٧ نصرة الدين.

وإيـــاكُـــمُ وســـمـــيَّ الـــنَّـــبـــي يـوسـف ابـن الـحـجـا والـجـمـال
فـذاك يُـقَـطِّـعُ أيـدي الـنـسـاء وهـذا يـقـطِّـعُ أيـدي الـرِّجـال

وفيها توفي أمير أميران بن زَنْكي أخو نور الدِّين [محمود][1]، أصابه سَهْمٌ على بانياس في عينه، فقتله[2].

وقد ذكرنا أن نورَ الدِّين لما مَرِضَ، كاتبَ أمير أميران الأُمراء، فلما بَرِئَ نور الدين سار إليه، وأخذ حَرَّان منه، وطَرَده، فمضى إلى صاحب الرُّوم[3]، وجَيَّش الجيوش في سنة تسعٍ وخمسين، وانضمَّ إليه خَلْقٌ كثير، وكان نور الدين نازلاً على رأس الماء، فالتقوا، فكُسِرَ نور الدين، وقُتِلَ أخو مجد الدِّين ابن الدَّاية، ونُهِبَ عسكر نور الدين، ورجع [أمير أميران إلى صاحب][4] حِصن كيفا مستجيراً به. فقيل: إنه مات عنده، ويقال: إنه شَفَعَ فيه إلى نور الدين، فَقَبِلَ شفاعته، وماتَ بدمشق.

حَسَّان بن تميم بن نَصْر[5]

أبو النَّدى الدِّمَشْقي، [ويعرف بالصَّيْرفي][1].

سمع الحديث وحَجَّ، وتوفي في رجب، ودفن بمقبرة باب الفراديس، [سمع الفقيه نَصراً الصيرفي وغيره][1]، وكتب عنه [الحافظ][1] ابن عساكر لعبد الملك بن جمهور القُرْطُبي [هذه الأبيات][1]: [من البسيط]

الموت يقبضُ ما أطلقتُ من أملي لو صَحَّ عقلي طلبتُ الفوزَ في مَهَلِ
ما ينقضي أملٌ إلا أتى أملٌ فالدَّهْرُ في ذا وذا لم أَخْلُ من شُغُلِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) هكذا قال السبط، وتابعه على ذلك الذهبي في «العبر»: ٤/ ١٦٩، وقد ذكر ابن أبي طي والعماد الكاتب أنه أخذ رهينة أثناء حصار حلب سنة (٥٧١هـ)، انظر «الروضتين»: ٢/ ٤١٣-٤١٤.

(٣) كذا قال، وقد أورد أبو شامة في «الروضتين»: ٢/ ٩١-٩٢ نقلاً عن ابن أبي طي أن نصرة الدين أمير أميران كان مع الفرنج على أرتاح، وأنه انضم إلى أخيه نور الدين في بدء المعركة.

(٤) في (ع) و (ح): ورجع إلى حصن كيفا، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤/ ٣٥٣-٣٥٤ - والأبيات فيه- و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٦٧.

مـن أيـن أُرْضـيـك إلا أَنْ تـوفِّـقَـنـي هيهات هيهاتَ ما التوفيقُ من قِبَلي
فـارحـمْ بـعـزَّتـك الـلـهـم مُـلْـتـهـفـاً فـيـمـا أتـى واغـتـفـر مـا كـان مـن زَلَـل

عبد الواحد بن إبراهيم(١)

ابن أحمد أبو الفضائل(٢)، [ويعرف بابن قُزَّة](٣) الحلبي.

انتقل أبوه إلى دمشق، وولد عبد الواحد سنة خمسٍ وسبعين وأربع مئة [وسمع الحديث](٣) وتوفي في ذي الحجة، ودُفِنَ بالباب الصَّغير، [سمع نَصْراً المقدسي وغيره، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره، وقال: وأنشدني للمبرِّد هذه الأبيات](٤): [من السريع]

يـا صـاحـبَ الـمـعـروفِ كـنْ تـارِكـاً تَـرْدادَ ذي الـحـاجـة فـي حـاجـتِـهْ
فَـشَـرُّ مـعـروفـك مـمـطـولُـهُ وخـيـره مـا كـان مِـنْ سـاعـتِـهْ
لـكـلِّ شـيءٍ آفـةٌ تُـتَّـقـى وحَـبْـسُـك الـمـعـروف مِـنْ آفـتِـهْ(٥)

[وفيها توفي

عمر بن بلهيقا الطَّحَّان البغدادي(٦)

الذي عمر جامع بلهيقا بالجانب الغربي من بغداد بالقرية، وكان مسجداً صغيراً، فاشترى حوله أماكن وأوسعه، واستأذن الخليفة في أن يجعله جامعاً، فأذن له.

قال جدي في «المنتظم»: إلا أن أكثر المواضع التي اشتراها كانت تُرباً فيها موتى، فأخرجوا، وبيعت أماكنهم، وكان المسجد الأول مما يلي الباب والمنارة.

وتوفي يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة، ودفن على باب الجامع بعيداً من حائطه، ثم نبش بعد أيام وأخرج، ودفن ملاصقاً للجامع ليشتهر ذكره بأنه بنى الجامع، فقال الناس: هذا رجل نبش الموتى وأخرجهم، فقضي عليه بأن نبش بعد دفنه](٣).

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»» (خ) (س): ١٠/ ٥٤٧ (مج٤٣/ ٣٢٥-٣٢٦)، و«توضيح المشتبه»: ٧/ ٢٠٣.

(٢) في «تاريخ ابن عساكر»»: أبو الفضل.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) في (ع) و (ح): ودفن بالباب الصغير، قال ابن عساكر: أنشدني المبرد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»».

(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢١٢، و«البداية والنهاية» (وفيات سنة ٥٦٠هـ) وفيهما: بهليقا.

محمد بن إبراهيم بن الكِيزاني[١]

أبو عبد الله، الواعظ، المِصري، [رجل مشهور فاضل، وله أصحاب بمصر، و][٢] كان يقول بأَنَّ أفعال العباد قديمة، [وبينه وبين جماعة من المصريين خلاف][٢]، ودفن عند الشَّافعي رحمة الله عليه، [فتعصب عليه رجل شافعي يقال له الخبوشاني ونبشه[٣]] في أيام صلاح الدين [وقال: هذا حشوي لا يحل أن يدفن عند الشافعي][٢]، ودفن في مكانٍ آخر، وكان زاهداً عابداً، قنوعاً من الدُّنيا باليسير، فصيحاً، [وله النظم والنثر، وديوانه بمصر مشهور، وممدوح مشكور، وقد وقعت عليه بمصر، فرأيته حسن العبارة، صحيح الإشارة، وفيه رقة وحلاوة، وعليه طلاوة، وغير ذلك أنشدني منه الفضل مرهف ابن أسامة ابن منقذ بمصر في سنة تسع وست مئة هذه الأبيات][٤]: [من مجزوء الرمل]

اصرفوا عني طبيبي ... ودعوني وحبيبي
علِّلُوا قلبي بذكرا ... ه فقد زاد لهيبي
طاب هَتْكي في هواه ... بين واشٍ ورقيبِ
لا أُبالي بفوات النّـ ... ـفس ما دامَ نَصِيبي
ليس من لام وإن أطـ ... ـنب فيه بمصيب
جسدي راض بسُقْمي ... وجفوني بنحيبي[٥]

وقال: [من الكامل]

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٢/ ١٨-٤٠، و«اللباب»: ٣/ ١٢٥، و«المحمدون من الشعراء» للقفطي: ١٥٣-١٥٥، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٦١-٤٦٢، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٩٠-٩١، و«الوافي بالوفيات»: ١/ ٣٤٧-٣٥٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٦٧-٣٦٨، ووفاته في «وفيات الأعيان»: و«طبقات الشافعية» سنة (٥٦٢هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و (ح) فبعث عليه الخبوشاني ونبشه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، والخبوشاني هو محمد بن الموفق، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٨٧هـ).

(٤) في (ع) و (ح): فصيحاً، ديوانه مشهور، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٢٠.

يا مَنْ يتيه على الزَّمان بحُسْنِهِ ... اعْطِفْ على الصَّبِّ المشوق التَّائِهِ
أضحى يخافُ على احتراقِ فؤاده ... أسفاً لأنَّك منه في سودائِهِ[1]

وقال: [من الطويل]

أسُكَّان هذا الحيِّ من آلِ مالك ... مسالمةٌ ما بيننا وجميلُ
ألم تَعِدُونا أن تزوروا تكرُّماً ... فما بالُ ميعاد الوِصالِ يطولُ
وَحُلْتُمْ عن الوَعدِ الجميلِ مَلالة ... وأنتمْ على نَقْضِ العُهودِ نُزُولُ
وما منكُمُ بُدٌّ على كلِّ حالةٍ ... وإن كان منكم هاجرٌ ومللولُ
دواعي الهوى محتومةٌ فاصطَبِرْ لها ... وإن جار بَيْنٌ أو جَفَاك خليلُ[2]

وقال: [من المتقارب]

تَخَيَّرْ لنفسك ما تَرْتَضِيْهِ ... ولا تُدْنِيَنَّ إليك اللِّئاما
فليس الصَّديقُ صديقَ الرَّخاءِ ... ولكنْ إذا قَعَدَ الدَّهْرُ قاما
ينامُ وهِمَّتُه في الذي ... يَهُمُّك لا يَستَلِذُّ المناما
وكم ضاحكٍ لك أحشاؤه ... تَمنَّاك أنْ لو لقيتَ الحِماما[3]

محمد بن سَعْد بن عبد الله[4]

ابن الحسن، أبو عبد الله، البغدادي. توفي بحلب في المحرَّم، ومن شعره: [من السريع]

أفدي الذي وكَّلَني حبُّه ... بطولِ إعلالٍ وإمراضِ
ولستُ أدري بعد ذا كلِّه ... أساخِطٌ مولاي أم راضِ

وقال: [من السريع]

يا ذا الذي وكَّلَ بي حبُّه ... على مدى الأيام أَوْجاعا
وما يبالي لقساواته ... إنْ ظَمِيَ المشتاقُ أو جاعا

(١) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٣٢.
(٢) «الخريدة»: ٢/ ٣٥-٣٦.
(٣) «الخريدة»: ٢/ ٣٩.
(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٥/ ٣٤٩-٣٥٠، و«الكامل»: ١١/ ٣٢١ - وفيه أنه توفي بالموصل - و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩٠.

وقال: [من الطويل]

سيطوي على ذي البهجة الجسم حُسْنه هـوامٌ تـرى الـرَّمْـسَ الـبـعـيـدَ ودُوْدُه
ويُـضْـجـعـه سَـهْـمُ الـمَـنِـيَّـة مُـفْـرداً ويَـجْـفُـوه مـن بـعـد الـوِصـالِ وَدُوْدُه

محمد بن عبد الله ابن العباس، أبو عبد الله، الحَرَّاني[١]

ولد سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وشَهِدَ عند أبي الحسن الدَّامَغاني في سنة أربعٍ وخمس مئة، وعاش حتى لم يبق من شهود ابن الدَّامَغاني غيره، وسمع الحديث، وصنَّف كتاباً سماه «روضة الأدباء».

قال الشَّيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: زرتُه يوماً، فأطلتُ الجلوس عنده، فقلت له: ثَقَّلْتُ. فأنشدني: [من الوافر]

لـئـن سَـمَّـيْـتَ إبـراماً وثِـقْـلاً زيـاراتٍ رَفَـعْـتَ بـهـنَّ قَـدْري
فـمـا أبـرمـتَ إلا حَـبْـل ودِّي ولا ثَـقَّـلْـتَ إلا ظَـهْـرَ شُـكْـري

وكانت وفاته في جمادى الآخرة، وكان فاضلاً، ثقةً، ودُفِنَ بباب الأَزَج[٢].

محمد بن محمد بن الحسين بن الفَرَّاء الحَنْبلي[٣]

ولد سنة أربع وتسعين وأربع مئة، وسمع الحديث، وتفقَّه على والده، وأفتى، ودرَّس، وولي القضاء بباب الأَزَج، وبواسط، وقدم بغداد، وقد ذهب بصره، فأقام في منزله، وتوفي في جُمادى الآخرة، ودفن بمقبرة باب حرب.

مَرْجان خادم المقتفي[٤]

كان متعصباً ببغض الحنابلة، [وتعصَّب على جدي تعصباً زائداً، قال جدي][٥]:

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢١٢-٢١٣، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٣٠، ٣٤٠-٣٤١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٥٢-٣٥٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) «المنتظم»: ١٠/ ٢١٢.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢١٣، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٢٤٤-٢٥٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٥٣-٣٥٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢١٣-٢١٤، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٤١٧، و«البداية والنهاية» (وفيات سنة ٥٦٠هـ).

(٥) في (ع) و (ح): قال الشيخ أبو الفرج: عاداني.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

عاداني، وناصبني دون الكُلِّ. فقيل له في ذلك، فقال: قَصدي أَنْ أقلع مذهب الحنابلة، وسعى بي إلى الخليفة، فلم يلتفت عليه، فلما رأيته كذا، لجأتُ إلى الله تعالى[١]، ودعوتُ عليه وسألته أن يكفيني شَرَّه، فصرفه عني بأَنْ ضربه السِّلُّ بعد أيام، فمات في ذي القَعدة، [وحمل إلى ترب الرصافة][٢] وسر الحنابلة بموته، لأَنَّه لما حج، قلع الحطيم الذي كان لهم بمكَّة، وأبطل إمامتهم بها، وبالغ في أذاهم.

قرأ مَرْجان القرآن، وشيئاً من مذهب الشَّافعي، رحمة الله عليه.

قال[٣]: وسمعتُ الخليفةَ المستنجد والوزير يحيى بن هُبيرة قائمٌ بين يديه، وهو يمدحه وينشده أبياتاً نَظَمها الخليفةُ في مَدْحِ الوزير، وهي هذه: [من الطويل]

وُجُودُك والدُّنيا إليك فقيرة ... وَجُودك والمعروف في النَّاس يُنْكَرُ
فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ... ويحيى لكفَّا عنه يحيى وجعفر
ولم أرَ مَنْ ينوي لك السُّوءَ يا أبا الـ ... ـمُظَفَّر إلا كنتَ أنتَ المُظَفَّرُ

[فصل وفيها توفي

الوزير ابن هبيرة[٤]

وقد نسبه جماعة من العلماء منهم محمد بن الدُّبيثي في «الذيل» وأبو بكر والعماد الأصفهاني فقالوا: هو][٢] يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن حسن بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمر بن هُبيرة بن علوان بن الحَوْفزان، وهو الحارث بن شَرِيك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مُرَّة بن همام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكاية

(١) في «المنتظم» ١٠/ ٢١٣: ولما قويت عصبيته لجأت إلى الله سبحانه.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش). قلت: ولم أعرف من هو أبو بكر هذا.

(٣) يعني مرجان الخادم، انظر «المنتظم»: ١٠/ ٢١٤.

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٢/ ٩٦-١٠٠، و«المنتظم»: ١٠/ ٢١٤-٢١٧، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٠-٢٠٢، و«الكامل»: ١١/ ٣٢١، و«كتاب «الروضتين»: ١/ ٤٤٠-٤٤١، و«وفيات «الأعيان»: ٦/ ٢٣٠-٢٤٤، و«الفخري»: ٣١٢-٣١٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٢٦-٤٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ابن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، [وهذا النسب استنبطوه بعد وزارته بسنتين، وكنيته أبو المظفر، ولقبه عون الدين.

ذكر طرف من أخباره[(١)]:

ولد سنة تسعٍ وتسعين وأربع مئة[(٢)]، بقرية [يقال لها][(٣)] الدُّور من أعمال دُجَيْلِ العراق.

وقرأ القرآن بالرِّوايات، وسَمِعَ الحديث الكثير، وقرأ النحو واللغة والعروض، وتفقَّه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل رحمة الله عليه، وصنَّف الكُتُبَ الحِسان، منها «الإفصاح عن معاني الصِّحاح» عشر مجلَّدات، غَرِمَ عليه في [أيام][(٣)] وزارته مئة ألف دينار؛ كان يجمع العلماء، ويبحث معهم في حديثٍ، ويخلع عليهم، ويبرُّهم، وكان قبل وزارته فقيراً جداً، [فذكر جدِّي رحمه الله في «المنتظم»،وقال: أمضه الفقر، فتعرض][(٤)]، فجعله المقتفي مُشْرفاً في المخزن، ثم صيَّره صاحبَ الدِّيوان، ثم استوزره، فكان يجتهد في دَفْع الظُّلْم، ويجتنب المحرَّمات، وأمر المقتفي بأن يُخْلَعَ عليه، فأدخل بيتاً قريباً منه، وجيء بخِلْعة حرير، فقال: والله لا لبستها أبداً. قال الوزير: فسمعتُ صوت المقتفي، وهو يقول للفَرَّاشين: ما قلتُ لكم إنَّه ما يلبسها.

وأول يوم جلس في الدِّيوان، نظر إلى رجلٍ من غِلْمان الدِّيوان، فاستدعاه، فأعطاه، ووصله، فقيل له في ذلك، فقال: دخلتُ يوماً إلى هذا الدِّيوان، فجاء هذا، وأقامني، وقال: قُمْ، فليس هذا موضعك.

ودخل عليه يوماً تركيٌّ، فقال لحاجبه: أعطه عشرين ديناراً، وكُرًّا من طعامٍ، وقُل له لا يحضر هاهنا. ثم التفت إلى الجماعة، وقال: هذا كان شِحْنة الدُّور، فجمع المشايخ، وظلمهم، وأخذ من كلٍّ واحدٍ شيئاً، وقال لي: أيش معك؟ قلت: ما معي شيء. فضربني، وشتمني، وآذاني.

---

(١) في (ع) و (ح): بن عدنان، أبو المظفر عون الدين الوزير، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) في «الروضتين»، و«وفيات الأعيان»: ولد سنة (٤٩٧هـ)، وهو الأصح.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) في (ع) و (ح): فقيراً جداً، فلما أمضه الفقر تعرض للعمل.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

وكانت أمواله مبذولة، ينفق في كلِّ سنة مئة ألف دينار ويستدين، وكان يقول: ما وجبتْ عليَّ زكاة قطُّ[١].

وكان يقول: أفادني فلان، وأفادني فلان.

[قال جدِّي رحمه الله: وسألني يوماً عن قوله عليه السَّلام: «مَنْ فاته حِزْبُه من اللَّيل، فصلاه قبل الزَّوال، فكأنه صلاه بالليل[٢]». فقلت: هذا ظاهر في اللغة والفقه، أما اللغة فإن العرب تقول: إلى الزوال كنت الليلة، وأما الفقه، فإنه عند أبي حنيفة يصح الصوم بنية قبل الزوال، فقد جعل ذلك الوقت في حكم الليل. فأعجبه ذلك، وكان يقول للناس: ما كنت أعرف معنى هذا الحديث حتى عرَّفني إياه فلان، فأخجل][٣].

وجرى بين يديه بحثٌ في مسألةٍ، فخالف فيها فقيه مالكي، وادَّعى الإجماع، فقال له الوزير والجماعة: خالفْتَ. وهو لا يرجع، فقال له الوزير: أحمارٌ أنت، أَمَا ترى الجماعة يخالفونك. ثُمَّ ندم الوزير على قوله، وقال: هذا لا يليقُ بالأَدب، ولا بُدَّ أن تقول لي كما قلتُ لك، وما أنا إلا كأحدكم. فارتفع بكاءُ الجماعة، وأخذ الفقيه المالكي يعتذر ويبكي، والوزير يبكي، ويقول: القِصاص القِصاص. فقال يوسف الدِّمشقي [للوزير][٤]: القِصاص أو الفِدْية، فقال الوزير: له حُكْمه. فقال الفقيه: نعمك عليَّ كثيرة، فأي حكم بقي لي؟ فقال: لا بُدَّ. فقال: عليَّ مئة دينار دَيْن. فأعطاه إياها [فرضي][٤].

وكان في وزارته يتأسَّفُ على ما مضى من زمانه، ويندم حيث دخل في الدُّنيا، ويقول: كان عندنا في القرية نخلة في مسجدٍ تحمل ألف رطل تمراً، فكان أخي محبِّ

(١) «المنتظم»: ١٠/ ٢١٥.

(٢) أخرج مسلم (٧٤٧)، وأبو داود (١٣١٣)، والترمذي (٥٨١)، والنسائي في «المجتبى»: ٣/ ٢٥٩ و ٢٦٠، وابن ماجه (١٣٤٣) من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً «من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل». وهذا لفظ مسلم.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و (ش). وانظر «المنتظم»: ١٠/ ٢١٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

الدِّين[١] يقول: يا أخي تكفانا[٢] هذه. وكان أخوه محبُّ الدِّين سيِّدَ الزُّهَّاد، ما دخل معه فيما كان فيه، ولا أكل له طعاماً.

[قلت: وقد سمعنا مشايخنا ببغداد يحكون عنه حكايات عجيبة، منها أنه][٣] قال: وكان سببُ ولايتي للمخزن أنني ضاق ما بيدي حتى فَقَدْتُ القوت أياماً، فأشار عليَّ بعضُ أهلي أَنْ أمضي إلى قبر معروف الكَرْخي، وأسأل الله عنده، فإنَّ الدُّعاء عنده مستجاب. فأتيتُ قبر معروف، وصلَّيتُ عنده، ودعوتُ، ثمَّ خرجتُ لأقصد البلد ـ يعني بغداد ـ فاجتزت بقَطُفْتا[٤]، فرأيتُ مسجداً مهجوراً، فدخلتُ لأصلي فيه ركعتين، وإذا بمريضٍ ملقى على بارِيَّة[٥]، فقعدتُ عند رأسه، وقلتُ: ما تشتهي؟ فقال: سَفَرْجلة، فخرجتُ إلى بقَّال هناك، فَرَهَنْتُ عنده مِئْزري على سَفَرْجَلَتين وتُفَّاحة، وأتيتُه بها، فأكل من السَّفَرْجلة، ثم قال: أغلقِ البابَ ـ أي باب المسجد ـ فَغَلَقْتُه، فتنحى عن البارية، وقال: احفرْ هاهنا، فحفرتُ، وإذا بكوزٍ، فقال: خُذْ هذا، فأنتَ أَحَقُّ به، فقلتُ: أما لك وارث؟ فقال: لا، وإنما كان لي أخٌ، وعَهْدِي به بعيد، وبلغني أنَّه مات، ونحن من الرُّصافة. وبينا هو يحدِّثُني إذ قضى نحبه، فغسَّلته، وكَفَّنْتُه، ودفنته، ثم أخذتُ الكُوز، وإذا فيه مقدار خمس مئة دينار، وأتيتُ إلى دِجْلة لأعبرها، وإذا بملاحٍ في سفينة عتيقة، وعليه ثيابٌ رَثَّة. فقال: معي معي. فنزلتُ معه، وإذا به أَشْبه النَّاس بذلك الرجل، فقلتُ: من أين أنتَ؟ فقال: من الرُّصافة، ولي بناتٌ، وأنا صعلوك. قلت: فما لك أحد؟ قال: لا، كان لي أخٌ، ولي عنه زمان، وما أدري ما فعل الله به. فقلتُ: ابسط حِجْرَك، فبسطه، فصببتُ المال فيه، فَبُهِتَ، فحدَّثْتُه الخبر، فسألني أن آخذ نصفه، فقلتُ: والله ولا حَبَّة. ثم صَعِدْتُ إلى دار الخليفة، وكتبت رُقْعةً، فخرج عليها إشراف المخزن، ثم تدرَّجْتُ إلى الوِزارة.

---

(١) في (ع) و (ح): مجير الدين، والمثبت من (م) و (ش)، وهو الموافق لما في «المنتظم».

(٢) كذا في النسخ، وفي «المنتظم»: وحاصلها يكفينا.

(٣) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) محلة كبيرة بالجانب الغربي من بغداد، مجاورة للمقبرة التي فيها قبر معروف الكرخي، انظر «معجم البلدان»: ٤/ ٣٧٤.

(٥) البارية: الحصير المنسوج، «معجم متن اللغة»: ١/ ٢٨٥.

[ومنها أَنَّه نَظَرَ][(١)] يوماً إلى طَرَفِ الإيوان، فرأى غُلاماً تركياً قائماً في الخِدْمة، وبيده سيفٌ، فقال لابن تركان: ادفع إلى هذا [التركي][(٢)] خمسين ديناراً، ومُرْه [أن][(٢)] لا يقف بين يديّ بعد اليوم، وله في كلِّ سنة مثلها. فقال له بعض الجماعة: يا مولانا، وما السَّببُ؟ فقال: كان هذا شِحْنة دُجَيْل، فَطَرَحَ على قريتنا فدادين، فجاء ليلة والبَرْدُ شديدٌ والمطر كثير، فقال: قُمْ، واخرج إلى الشَّجرة، فقلتُ: أنا ضعيف، وقليل الكسوة، [فأبصر غيري][(٢)]. فضربني بالمَقْرَعة على رأسي، فأصاب [طرف] السوط[(٣)] عيني هذه، فذهَبَتْ، وما أُبْصر بها إلا قليل، فما أُريد رؤيته، ولا أَقْطَعُ رِزْقه. فعجبَ الحاضرون من هذا الحِلْم.

[ومنها أنه][(٤)] عمل سِماطاً عظيماً [فكان يعمل في اللبنية عوض الكراث تماثيل السُّكَّر][(٢)]، وكان إذا مُدَّ السماط أكثر ما يحضر عليه الفقراء والعميان، فلما كان في ذلك اليوم، وأكل النَّاس، وخرجوا، بقي رجلٌ ضرير يبكي ويقول: سرقوا مداسي، ومالي غيره، ووالله ما أقدر على ثمن مداس، وما بي إلا أَنْ أمشي حافياً، وأصلي. فقام الوزير من مجلسه، ولبس مداسه، وجاء إلى الضَّرير، فوقف عنده، وخَلَعَ مداسه، وهو لا يعرفه، وقال له: أَبْصِرْ هذا المداس على قدر رِجْلك. فلبسه، وقال: نَعَمْ، لا إله إلا الله، كأَنَّه مداسي. ومضى الضَّرير، ورجع الوزير إلى مجلسه، وهو يقول: سلمتُ منه أن يقول أنتَ سرقته.

[وله كثير من العجائب والغرائب، وحكى أنه وشى به واشٍ إلى المستنجد، وكان الوزير قد أحسن إلى ذلك الواشي][(٥)]، فكتب [إليه][(٢)] الخليفة يقول: إنَّ فلاناً وشى بك. فكتب إليه الوزير: [من الطويل]

زرعتُ زروعاً تُجْتنى ثمراتُها ... فلا ذنبَ لي إن حَنْظَلَتْ شجراتُها
هُمُ نقلوا عني الذي لم أَقُهْ به ... وما آفةُ الأخبارِ إلا رواتُها

(١) في (ع) و (ح): ونظر الوزير يوماً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٣) في (ع): فأصاب الضرب عيني، وفي (ح) فأصاب السوط عيني، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٤) في (ع) (ح): وعمل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٥) في (ع) (ح): ووشى بالوزير واشٍ -وكان أحسن إليه- إلى المستنجد، فكتب الخليفة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

يـطـولُ عـلـى مِـثْـلـي بـأنِّـيَ كـلَّـمـا سـمـعـتُ نُـبـاحـاً من كـلابٍ خَـسَـأتُـهـا[١]

ذكر وفاته:

[حكى جدِّي في «المنتظم»، وقال][٢]: كان يسأل الله الشَّهادة، ويتعرَّض لأسبابها، وكان [الوزير][٢] صحيحاً يوم السَّبت ثاني عشر جُمادى [الأولى من هذه السنة][٣]، ونام ليلة الأحد في عافية، فلمَّا كان وقت السَّحَر قاء، فحضر طبيبٌ كان يخدمه يقال له ابن رشادة، فسقاه شيئاً، فيقال: إنَّه سَمَّه، فمات. وسُقِيَ الطبيبُ بعده بنحو ستة أشهر سُمًّا، فكان يقول: سُقِيْتُ كما سَقَيتُ، ومات الطَّبيب.

[قال جدي][٤]: وكنت ليلة مات الوزير نائماً على سطحٍ مع أصحابي، فرأيتُ في المنام كأنِّي في دار الوزير، وهو جالسٌ، فدخل رجلٌ بيده حَرْبةٌ، فضربه بها بين أُنْثَيَيْه، فخرج الدَّم كالفوَّارة، فَضَرَبَ الحائط. فالتفتُّ، فإذا بخاتمٍ من ذهب مُلْقى، فأخذتهُ، وقلتُ: لمن أُعطيه؟ أنتظر خادماً يخرج، فأعطيه إياه، وانتبهتُ، فحدَّثت أصحابي، فلم أستتمَّ الحديث حتى جاء رجلٌ فقال: ماتَ الوزير. فقال بعضُ الحاضرين: هذا محال، أنا فارَقْتُه أمسِ العَصر، وهو في كلِّ عافية، وجاء آخر، فَصَحَّ الحديث، وقال لي ولده: لا بُدَّ أن تُغَسِّلَه، فأخذتُ في غسله، ورفعتُ يده لأَغسل مغابنه، فسقط الخاتم من يده، [فحيث رأيت الخاتم تعجَّبْتُ من المنام. قال][٥]: ورأيت في وقتِ غسله آثاراً بوجهه وجَسَدِه تدلُّ على أَنَّه مسموم، فلما خرجَتْ جِنازَتُه غُلِّقَتْ أسواقُ بغداد، وامتلأت السُّطوح ودِجْلة من الجانبين، ولم يتخلَّف عن جِنازته أحدٌ، وكَثُرَ البكاءُ عليه والحُزْنُ لإحسانه وعدله، وصُلِّي عليه في جامع القَصر، وحُمِلَ إلى باب البَصرة، فدفن في مدرسته [التي أنشأها][٦]، وقد دَثَرَتِ الآن، [ولو كانوا دفنوه عند

---

(١) أي خسأتها: طردتها. «اللسان» (خسأ).

(٢) في (ع) و (ح): قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) في (ع) و (ح): الآخرة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) في (ع) و (ح): فسقط الخاتم من يده فعجبت، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، انظر «المنتظم»: ١٠/٢١٦-٢١٧.

أحمد بن حنبل كان أحيا لذكره والترحم عليه، ورثاه جماعة منهم نَصر النُّميري][1]، فقال: [من مجزوء الكامل]

ألـــمـــم عـــلـــى جَـــدَثٍ حـــوى ... تـــاجَ الـــمـــلـــوك وقُـــلْ ســـلامُ
واعـــقـــر ســـويـــداءَ الـــضَّـــمـــيـــ ... ـرِ فـــلـــيـــسَ يـــقـــنـــعـــنـــي الـــســـوامُ
وتـــوقَّ أن يـــفـــنـــى حـــيـــا ... ءَ دَمْـــعُ عـــيـــنـــك أو مـــلامُ
فـــإذا ارتـــوتْ تـــلـــك الـــجـــنـــا ... دل مـــن دمـــوعـــك والـــرَّغـــامُ
فـــأَقِـــمْ صـــدورَ الـــيَـــعْـــمَـــلا ... تِ فـــبـــعـــد يـــحـــيـــى لا مـــقـــامُ
ذهَـــبَ الـــذي كـــانـــت تـــقـــيِّـــ ... ـدُنـــي مـــواهِـــبُـــه الـــجـــســـامُ
فـــإذا نـــظـــرتُ إلـــيـــه لـــم ... يَـــخْـــطُـــرْ عـــلـــى قـــلـــبـــي الـــشَّـــآمُ
راح الـــنـــدى الـــفـــيـــاض عـــن ... راجـــيـــه واشـــتـــدَّ الأُوامُ
وتَـــفَـــرَّقَـــتْ تـــلـــك الـــجـــمـــو ... عُ وقـــوِّضَـــتْ تـــلـــك الـــخـــيـــامُ
عـــجـــبـــاً لـــمـــن يـــغـــتـــرُّ بـــالـــدُّ ... نـــيـــا ولـــيـــس لـــهـــا دوامُ
عُـــقْـــبـــى مَـــســـرَّتـــهـــا الأســـى ... وعـــقـــيـــبَ صِـــحَّـــتِـــهـــا الـــسَّـــقـــامُ
مـــا مـــتَّ وَحْـــدَك يـــوم مـــتّ ... وإنَّـــمـــا مـــاتَ الأنـــامُ
يـــأبـــى لـــي الإحـــســـانُ أَنْ ... أنـــســـاكَ والـــشِّـــيـــمُ الـــكِـــرامُ[2]

ورآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: [من الخفيف]

قـد سُـئِـلْـنـا عـن حـالـنـا فـأَجَـبْـنـا ... بـعـد مـا حـال حـالُـنـا وحُـجِـبْـنـا
ووَجَـدْنـا مُـضَـاعَـفـاً مـا كَـسَـبْـنـا ... ووجـدنـا مُـمَـحَّـصـاً مـا اكـتْـسَـبَـنْـا

وكان يكتب إلى المستنجد أوراقاً تدلُّ على شفقته على الدَّوْلة ليجري أمورها على السَّداد، وكان فيما كتب إليه: يا أمير المؤمنين، اللهَ اللهَ في أُمة محمد ﷺ، احفظْ محمداً في أُمته، وأقم ناموس الخلافة، ففي الأعداء والوافدين كثرة، والواجب أن يصدروا بما يُحَسِّنُ السِّيرة، ويزيد في الطَّاعة، وقد سمع الوزير الحديث.

---

(١) في (ع) و (ح): ورثاه نصر النميري، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وستأتي ترجمة نصر النميري في وفيات سنة(٥٨٨هـ)

(٢) بعض الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ٢١٧ .

[وذكره جدِّي في «المشيخة[١]»] فقال: أخبرنا الوزير أبو المُظَفَّر يحيى بن محمد بن هُبيرة قراءةً عليه وأنا أسمع في جمادى الأُولى سنة ستٍّ وخمسين وخمس مئة. قال: قرأتُ على سيدنا ومولانا الإمام المقتفي لأمر الله ـ أمير المؤمنين ـ أبي عبد الله محمد بن الإمام المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن الإمام المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدِّين أبي العَبّاس أحمد بن الإمام القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن الإمام القادر بالله أبي العَبّاس أحمد بن الأمير أبي محمد إسحاق بن الإمام المقتدر بالله أبي الفَضْل جعفر بن الإمام [المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير أبي محمد طلحة الموفق بن الإمام المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن الإمام][٢] المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الإمام الرَّشيد أبي عبد الله هارون بن الإمام المهدي أبي عبد الله محمد بن الإمام المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأُمة أبي الأئمة ترجمان القرآن أبي العَبَّاس عبد الله بن العَبَّاس عَمّ رسول الله ﷺ، وذلك في يوم الجمعة سابع وعشرين ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة فأَقَرَّ به، قلت له: حدَّثكم أبو البركات أحمد بن عبد الوهَّاب بن هبة الله بن أحمد السِّيْبي من لفظه في رمضان سنة خمس مئة، قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن هَزَارْمَرْد الصَّريفيني قراءةً عليه وأنا أسمع ببغداد في صفر سنة تسعٍ وستين وأربع مئة، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المُخَلِّص، حدثنا أبو علي إسماعيل بن العَبَّاس الوَرَّاق، حدَّثنا حفص بن عمرو، حدثنا المبارك بن سُحَيْم، حدثنا عبد العزيز بن صُهَيْب، عن أنس ابن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزداد الزَّمان إلا شِدَّةً، ولا يزداد النَّاس إلا شُحًّا، ولا تقوم السَّاعة إلا على شِرار النَّاس»[٣].

---

(١) في (ع) و (ح): وذكره الشيخ جمال الدين بن الجوزي في المشيخة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ع) و (ح)، والمثبت من «المشيخة».

(٣) انظر «المشيخة»: ٢٠٠-٢٠٢.

والحديث أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٤٨٥)، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٤٤١-٤٤٢ من طريق المبارك بن سحيم، به، والمبارك متروك، وأخرجه بنحوه ابن ماجه (٤٠٣٩) من طريق محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس، به، ومحمد بن خالد منكر الحديث.

وكان الوزير مُمَدَّحاً، ورُزِقَ من الشُّعراء ما لم يُرْزقه أحد، قال صاحب الخبر ابن المهتدي: جمعتُ من القصائد التي مُدِحَ بها ما يزيد على مئتي ألف قصيدة، في مجلَّدات، فلما بِيْعت كتُبُه اشترى المدائحَ بعضُ الأكابر، فغسلَها جميعاً.

ومن شعر الوزير رحمه الله: [من الطويل]

تَمَسَّكْ بتقوى الله فالمرء لا يبقى ... وكلُّ امرىءٍ ما قدَّمَتْ يدُه يَلْقى
ولا تظلِمَنَّ النَّاسَ ما في يديهِمُ ... ولا تذكُرَنْ إفكاً ولا تحسُدَنْ خَلْقا
ولا تقربَنْ فِعْلَ الحرام فإنَّما ... لذاذتُه تفنى وأنتَ به تَشْقى
وعاشِرْ إذا عاشَرْتَ ذا الدِّين تنتفعْ ... بصُحبتِهِ واحْذَرْ معاشرةَ الحَمْقى
ودارِ على الإطلاق كُلاً ولا تكن ... أخا عَجَلٍ في الأمر واسْتَعْمِلِ الرِّفْقا
وخالِفْ حظوظَ النَّفْس فيما ترومه الـ ... أماني ولا تستعظمنَّ لها الصّدقا
تعوَّدْ فِعال الخير جَمْعاً فكلَّما ... تَعَوَّده الإنسانُ صار له خُلْقا[1]

وقال الأبله[2] يمدحه: [من الكامل]

لله من يحيى الوزيرِ عزيمةٌ ... بقوى النَّوائب والسُّيوفُ نوابِ
طَلقُ اليدينِ سماحةً وسِلاحُهُ ... هُلْكُ البُغاةِ وبُغْيةُ الطُّلاَّبِ
غَيْثٌ تَفَهَّقَ للعُفاةِ وعَوْذُه ... ليثٌ تقهقر عند ليثِ الغاب[3]
ولَّاجُ أنديةِ المكارم والنَّدى ... قَرَّاح[4] خُطْبٍ قادح بخطابِ
هذا وربِّ كتيبةٍ مَلْمُومةٍ ... شَعْراءَ فَرَّق شَمْلَها بكتابِ
جانبتُ أَفْنية اللِّئام ولذتُ من ... يحيى بأخصبِ مَرْتَعٍ وجَنَابِ
بجناب مِتْلافٍ إذا حُسِبَ النَّدى ... ألفيتَ نائِلَهُ بغير حسابِ

وقال يهجوه: [من الكامل]

يا قاصداً بغدادَ جُزْ عن بلدةٍ ... الجَوْرُ فيها زَخْرَةٌ وعُباب

---

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٩٩-١٠٠ .

(٢) هو محمد بن بختيار، وستأتي ترجمته سنة (٥٧٩هـ).

(٣) معنى الشطر الثاني لم يتضح لي.

(٤) من اقترح خطبة: ارتجلها، «معجم متن اللغة»: ٤/ ٥٢٤ . وسكنت الطاء في خطب لضرورة الشعر.

إن كنت طالب حاجةٍ فارجعْ فقد ... سُدَّتْ على الرَّاجي بها الأبوابُ
بادتْ وأهلُوها معاً فبيوتهُم ... ببقاء مولانا الوزير خرابُ
والناس قد قامتْ قيامتهم فلا ... أحسابَ بينهمُ ولا أنسابُ
والمَرْءُ يُسْلِمُهُ أخوه وعِرْسه ... ويخونه الأصحاب والأترابُ
شهدوا معادهُمُ فعاد مكرَّما ... مَنْ كان قبلُ ببعثه يرتابُ
حشر وميزان وعرضُ صحائفٍ ... وجرائدٌ منشورةٌ وحسابُ
وبها زبانية تُبَثُّ على الورى ... ومقامع وسلاسلٌ وعقابُ
ما فاتهم من كل ما وعدوا به ... في الحشر إلا راحِمٌ وهَّابُ[1]

وقال من شعر الوزير المؤيَّد الألوسي[2] وكان فصيحاً، كتب إلى الوزير متعتِّباً عليه: [من الرمل]

ولعمر اللهِ ما أعْجزني ... سرعةُ السَّيْرِ ولا عرض البِقاعِ
والغِنى مني إذا حاوَلْتُهُ ... بالشِّرى أقرب مِنْ حَبْل الذِّراعِ
غير أنِّي ليس ترضى هِمَّتي ... أنَّني أكسبُ مالاً بانتجاعِ
وإذا ما قَصَّرَتْ بي ثَرْوةٌ ... طوَّلَتْ لي عِفَّتي خَطْوي وباعي
وتقنعت وكم من حسرة ... نكأت قلب المعالي بأفاعي
فلئن أصفيت غيري بالعُلا ... وتجافيتَ اصطفائي واصطناعي
وزها رَوْضُك من بعد العِدى ... وصفا حَوْضُك من ري الرعاع
وطباع المُلْك ما زالت كذا ... ومن الإعجاز تبديل الطِّباعِ
ترزق الضَّعْفاء في ساجورها ... وتخاضُ البِيْدُ في قَتْلِ السِّباعِ

وقال أيضاً يعاتبه: [من البسيط]

---

(١) كذا قال، ورأيت بعض هذه الأبيات من قصيدة لسبط ابن التعاويذي، وهي في «ديوانه»: ص٤٧-٤٨، مع اختلاف في بعض الألفاظ، وفيها: وقال يهجو ابن البلدي.

(٢) سماه ابن خلكان المؤيد بن محمد بن علي بن محمد الألوسي، وسماه ابن النجار: عطاف بن محمد المعروف بالمؤيد، وسماه ياقوت: المؤيد بن عطاف، شاعر بغدادي من أعيان شعراء عصره، ولد بألوس سنة (٤٩٤هـ)، وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات، ودخل بغداد في أيام المسترشد بالله، وانقطع إلى الوزير ابن هبيرة، وله فيه مدائح جيدة، وتوفي بالموصل سنة (٥٥٧هـ). انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق ج١/ ١٧٢-١٧٩، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٠٧-٢٠٩، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٣٤٦-٣٥٠.

لا أعرفُ الغَمْضَ إلا ما تحدِّثُني ... به المُنَى في منامي ربَّما كانا
وأستعينُ العِدى مما بليتُ به ... يا ذُلَّ مَنْ طَلَبَ الأعداءَ أَعْوانا
ولم تَزَلْ قسمةُ الأيَّامِ جائرةً ... إذا قَضَتْ ناقضت ظُلْماً وعُدْوانا
تختصُّ بالعَطَل البازي وقد جَعَلَتْ ... لمعُظْم الطَّيْر أَطْواقاً وتيجانا
وتُغْرِقُ الدُّرَّ في قَعْر البحور وقد ... أَعْلَتْ على قُلَلِ الأجبال صَوَّانا

ذكر ما جرى بعد وفاة الوزير رحمه الله:

استوزر الخليفةُ شَرَفَ الدِّين أبا جعفر أحمد بن محمد بن البلدي، فشرع في التضريب على أولاد الوزير وأسبابه، فقبض على ولديه عز الدين محمد، وشرف الدين ظَفَر [وكان أكبر أولاده][1] وأُخذت أموالهما، وخُنِقَ عزُّ الدِّين وأخوه، وسنذكرهما، واضطرَّ ورثة الوزير إلى بيع ثيابهم وأثاثهم، وثياب نسائهم ومقانعهن[2]، وبيعت كُتُب الوزير الموقوفة على مدرسته وغيرها، حتى إنَّه بيع كتاب «البُسْتان» في الرَّقائق لأبي الليث السَّمَرْقَنْدي بخطٍّ منسوب، وكان مُذْهباً يساوي عشرة دنانير، بدانقين وحبَّة، فقال بعضُ الحاضرين: ما أرخص هذا البُسْتان! فقال جمال الدين بن الحصني: ثِقَلُ ما عليه من الخَرَاج أَرْخَصَه. أشار إلى الوقفية وغيرها. وقال بعضُ الحاضرين: كيف يجوز بيع كتب الوقف بعد أن حكم بها حاكم؟! فأُخذ وضرب ضرباً مبرِّحاً، وحُبس، فامتنع النَّاسُ من الكلام في ذلك.

قلتُ: هذا تلخيصُ ما ذكره المصنِّف رحمه الله في ترجمته[3]، وقد ذكر قاضي القضاة شمس الدين أحمد ابن خَلِّكان رحمه الله في «وفيات الأعيان[4]» ترجمة الوزير رحمه الله، وذكر بمعنى بعض ما ذكره المصنِّف، وزاد فقال: أَوَّلُ ولاياته الإشراف بالأقرحة الغربية[5]، ثم نُقِلَ إلى الإشراف على الإقامات المخزنية، ثم قُلِّد الإشراف بالمخزن، ولم يطل في ذلك مكثه حتى قلد في سنة اثنتين وأربعين كتابة ديوان الزِّمام، ثم ترقَّى إلى الوِزارة، وكان سبب توليته الوزارة ما جرى من مسعود البلالي شِحْنة بغداد نيابةً عن

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) مفردها المقنعة: وهي ما تغطي به المرأة رأسها. انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٦٦٢.

(٣) هذا من أصح النصوص التي تدل على اختصار اليونيني لمرآة الزمان.

(٤) «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٣١-٢٤٢.

(٥) مواضع ببغداد، انظر «معجم البلدان»: ٤/ ٣١٥-٣١٦.

السُّلْطان مسعود بن محمد بن ملك شاه ـ وكان مسعود أحد الخَدَم الحبشيين الخِصيان الكبار من أُمراء دولته ـ من سوء أدبه في الحَضْرة، وخروجه عن معتاد الواجب، وانتشار مُفْسدي أصحابه، وكان وزير الخليفة إذ ذاك قوام الدِّين أبو القاسم عليُّ بنُ صدقة قد كتب عن الخليفة إلى السُّلْطان عِدَّة كُتُب يعتمد الإنكار على مسعود البلالي، فلم يرجع جواب، فلما قُلِّد عون الدين ابن هُبَيْرة كتابة ديوان الزِّمام، خاطَبَ الخليفةَ في مكاتبة السُّلْطان مسعود بالقضية، فوقَّع إليه: قد كان الوزير كَتَبَ في ذلك عِدَّة كتب فلم يجيبوه. فراجع عون الدِّين في ذلك سؤاله إلى أن أُجيب، فكتب من إنشائه رسالةً طويلة، دعا للسُّلْطان، وأذكره ما كان أسلافه يعاملون الخلفاء به من حُسْن الطَّاعة والتأدُّب معهم، والذَّبِّ عنهم ممن يفتات عليهم، وشكا من مسعود البلالي، وأطال القول، وكان هذا في سنة اثنتين وأربعين في ربيع الآخر، فما مضى على هذا إلا قليل حتى عاد الجواب بالاعتذار والذَّمِّ لمسعود البلالي، والإنكار لما اعتمده، فاستبشر المقتفي بإشارة عون الدين، وعَظُمَ سروره بذلك، وعظم موقعه في قلبه، ولم يزل عنده مكيناً حتى استوزره.

وكان أيضاً من جملة أسباب وزارته [أنه][1] في سنة ثلاث وأربعين وصل إلى بغداد صاحب اللِّحف[2] ويلدكز السُّلْطاني، وقصداها في جموعٍ كثيرة، وصدر منهم فتن عظيمة، فشرع الوزير قوام الدِّين ابنُ صدقة في تدبير الحال، فأخفق مسعاه، فاستأذن عونُ الدِّين الخليفةَ في أمرهم، فأَذِنَ، فخاطب هؤلاء الخارجين عن الخليفة، وأحسن التَّدْبير في ذلك حتى كَفَّ شَرَّهم، ثم قوي عليهم حتى نهبت العامَّةُ أموالهم، وعند انقضاء هذا المهم استدعى الخليفة عون الدين بمطالعة على يد أميرين، فركب إلى دار الخلافة في جماعة، ولما وصل إلى باب الحجرة استدعي، فدخل، وقد جلس له المقتفي بمثمنة التَّاج، فقبَّلَ الأرض وجلس، وتحدَّثا ساعة بما لم يُحِطْ به غيرهما عِلْماً، ثم خَرَجَ وقد جهِّز له التشريف على عادة الوزراء، فلبسه، ثم استدعي ثانية، فقبل الأرضَ، ودعا بدعاء أَعْجَبَ الخليفة، ثم أنشد: [من الطويل]

سأشكر عمراً ما تراخَتْ منيَّتي ... أياديَ لم تُمنن وإن هي جَلَّتِ
رأى خَلَّتي من حيثُ يخفى مكانُها ... فكانت بمرأى منه حتى تجلَّتِ

(١) ما بين حاصرتين من «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٣٢ .

(٢) صقع من نواحي بغداد. «معجم البلدان»: ٥/ ١٤ .

وهذان البيتان لإبراهيم بنِ العَبَّاس الصُّولي، وهي ثلاثة أبيات، الثاني منهما بعد الأول:

فتًى غيرُ محجوبِ الغِنى عن صديقه ولا مُظْهِرُ الشَّكْوى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

ولما أنشد عونُ الدِّين البيتين، غيَّر نصف البيتِ الثَّاني منهما، فإنَّ الشَّاعر قال:

فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فما رأى أن يخاطب الخليفة بهذه العبارة، فغيَّره تأدُّباً.

ثم إنه خرج، فَقدِّمَ له حصانٌ أَدْهم سائل الغُرَّة محجَّل، وعليه من الحَلْي ما جَرَتْ به عادةُ الوزراء، وخرج بين أرباب المناصب وأعيان الدَّوْلة، وأمراء الحَضْرة، وجميع خدم الخليفة، وسائر حُجَّاب الدِّيوان، والطبولُ تُضْرب أمامه، والمسند وراءه محمول حتى دخل الدِّيوان، ونزل على طرف الإيوان، وجلس في الدَّسْت، وقام لقراءة عهده سديدُ الدَّوْلة محمد بنُ عبد الكريم الأنباري، وقرأ القُرَّاء، وأنشد الشُّعراء، وتولى الوِزارة يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعٍ وأربعين، وكان لقبه جلال الدين، فلقّب عون الدين.

وكان عالماً فاضلاً، ذا رأي صائبٍ، وسريرة صالحة.

وذكر عِزُّ الدِّين عليُّ ابن الأثير في «تاريخه الصَّغير[1]» في فصل حِصار الملك محمد وزين الدِّين بغداد، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاثٍ وخمسين: أنَّ المقتفي جَدَّ في حِفْظ بغداد، وقام وزيره عون الدِّين في هذا الأمر المقام الذي يعجز عنه غيره، وأمر المقتفي، فنودي في بغداد: مَنْ جُرح فله خمسة دنانير، فكان كل من جرح يوصل ذلك إليه، فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحاً، فقال الوزير: هذا جرحٌ صغير لا تستحقُّ عليه شيئاً. فعاد إلى القتال، فَضُرِبَ في جوفه، فخرجت أمعاؤه، فعاد إلى الوزير، وقال: يا مولانا، يرضيك هذا؟ فضحك منه، وأمر له بصِلة، وأحضر مَنْ عالجه.

وقال الحيص بيص يمدحه: [من الطويل]

يهزُّ حديثُ الجودِ ساكنَ عِطْفه كما هَزَّ شَرْبَ الحيِّ صَهْباءُ قَرْقَفُ

ويرسو إذا طاشت حُبا القوم واغتدتْ صِعابُ الذُّرى من زَعْزَع الخَطْبِ تَرْجُفُ

صرومُ الدَّنايا هاجرٌ كلَّ سُبَّةٍ ولكنَّه بالمجدِ صبٌّ مكلَّفُ

(١) انظر «الباهر»: ١١٣.

يضيقُ بأدنى العار ذَرْعاً وصدرُهُ بأهوالِ ما يُدْني من الحمد نَفْنَفُ
إذا قيل عونُ الدِّين يحيى تألَّق الـ ـغمامُ وماسَ السَّمْهَريُّ المُثَقَّفُ

وقال أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالأبله الشَّاعر يمدحه: [من الكامل]

ولع النَّسيم وبانة الجرعا وصفاك إلا الحَلْي والوَدْعا
يا دُميةً ضاقتْ خلاخلها عنها وضقتُ بحبِّها ذَرْعا
قد كنتُ ذا دَمْعٍ وذا جَلَدٍ فبقيتُ لا جلداً ولا دَمْعا
صيَّرتِ جسمي للضَّنى سكَناً وسكنتِ بعد تبالةَ الجَزْعا
يا مَنْ رأى أدماء سانحةً قلبي لها لا المنحنى مَرْعى
لاثتْ بمثل الدِّعْصِ مئزرها وجَلَت بعودِ أراكةٍ طلْعا
وإذا تُراجعكَ الكلامَ فلا تَعدَمْ لأيَّامِ الصِّبا رُجْعى
ولقد سعت بالكأس تُصبحني سكرى اللَّواحظ وَعْثة المَسْعى
في مستنير الزهر ما صنعتْ أبرادَه عَدَنٌ ولا صَنْعا
باكرتُ مفترعاً ثراه وما ركب الحمامُ لبانةٍ فَرْعا
سَلَّت عليه البارقاتُ ظُبًى لَبِسَ الغديرُ لخوفها دِرْعا
يا عاذلي إن شئت تُسْمعني عَذْلاً فَشُقَّ لصخرةٍ سَمْعا
طَبْعاً جُبِلْتُ على الغرام كما جُبِلَ الوزيرُ على النَّدى طَبْعا

وقال محمد بن عبد الله سِبْط ابن التَّعاويذي يمدحه: [من الطويل]

سقاها الحيا من أَرْبُعٍ وطلولِ حَكتْ دَنَفي من بعدهم ونحولي
ضمنتُ لها أجفانَ عينٍ قريحةٍ من الدَّمْعِ مِدْرارِ الشُّؤون هَمُولِ
لئن حالَ رَسْمُ الدَّارِ عما عهدْتُهُ فعهدُ الهوى في القلب غير محيل
خليليَّ قد هاج الغرامُ وشاقني سنا بارقٍ بالأَجْرعَيْنِ كليلِ
ووكَّلَ طَرْفي بالسُّهاد تنظُّري قضاءَ مليٍّ بالدِّيون مَطُولِ
إذا قلتُ قد أنحلتِ جسمي صبابةً تقولُ وهل حُبٌّ بغير نحولِ
فإن قلتُ دمعي بالأسى فيك شاهدي تقول شهود الدَّمْعِ غيرُ عدولِ
فلا تعذلاني إنْ بكيتُ صبابةً على ناقضٍ عهدَ الوفاءِ مَلُولِ

فأبرحُ ما يُمنى به الصَّبُّ في الهوى ... مـلالُ حـبـيـبٍ أو مـلام عـذولِ
ودون الكثيب الفَرْدِ بيضٌ عقائلٌ ... لـعـبْـنَ بـألـبـابٍ لـنـا وعـقـولِ
غداة التقت ألحاظها وقلوبنا ... فـلـم تـجـلُ إلا عـن دم وقـتـيـلِ
ألا حـبـذا وادي الأراك وقـد وشَـتْ ... بـريَّـاك ريـحـا شـمـألٍ وقـبُـولِ
وفي أبرديه كلَّما اعتلتِ الصَّبا ... شـفـاءُ فـؤادٍ بـالـغـرام عـلـيـلِ
دعوت سُلواً فيك غير مساعدي ... وحاولتُ صبراً عنك غير جميلِ
تعرفت أسبابَ الهوى وحملته ... عـلـى كـاهـلٍ لـلـنـائـبـات حـمـولِ
فلم أحظَ في حُبِّ الغواني بطائلٍ ... سـوى رَغْـي لـيـل بـالـغـرام طـويـلِ
إلى كم تمنيني الليالي بماجدٍ ... رزيـنٍ وقـارِ الـحـلـم غـيـر عَـجُـول
أهز اختيالاً في هواه معاطفي ... وأسـحـب تـيـهـاً فـي ثـراه ذيـولـي
لقد طال عهدي بالنَّوال وإنني ... لـصـبٌ إلـى تـقـبـيـلِ كـفٍّ مـنـيـل
وإنَّ ندى يحيى الوزير لكافلٌ ... بـهـا لـي وعـونُ الـدِّيـن خـيـرُ كـفـيـلِ

وذكر قاضي القضاة ـ رحمه الله ـ عن مؤلف سيرة الوزير، أَنَّ سببَ موته كما بلغنا أنه خرج مع المستنجد للصَّيْد، فسقي مسهلاً، فقصر عن استفراغه، فدخل بغداد يوم الجمعة سادس جمادى الأُولى راكباً متحاملاً إلى المقصورة لصلاة الجمعة، فصلَّى بها، وعاد إلى داره، فلما كان وقت صلاة الصُّبْح عاوده البلغم، فوقع مغشيًّا عليه، فصرخ الجواري، فأفاق، فسكَّتهن، وبلغ الخبر ولده عز الدين، فبادر إليه، فلما دخل عليه قال له: أستاذ الدار قد بث جماعة ليستعلم ما هذا الصِّياح، فتبسم الوزير على ما هو عليه، وأنشد: [من الطويل]

وكم شامتٍ بي عند موتي جهالةً ... بـظـلـم يـسـلُّ الـسَّـيـفَ بـعـد وفـاتـي
ولو علم المسكين ماذا يناله ... مـن الـضُّـرِّ بـعـدي مـات قـبـل مـمـاتـي

ثم تناول مشروباً، فاستفرغ به، ثم استدعى بماءٍ، فتوضأ للصَّلاة، وصلى قاعداً، فسجد، فأبطأ عن القعود من السجود، فحركوه، فإذا هو ميتٌ، فطولع به الإمام المستنجد، فأمر بدفنه.

وقال ابنُ القادسي: ولد سنة سبع وتسعين وأربع مئة، ولما بلغ موته عضد الدين أبو المظفر أُستاذ الدار كان بحضرته سبط ابنِ التعاويذي، فأنشد مرتجلاً: [من الخفيف]

قال لي والوزير قد مات قومٌ قُمْ لنبكي أبا المُظَفَّر يحيى
قلت أهونْ عندي بذلك رُزْأ ومصاباً وابنُ المُظَفَّر يحيا

وقال آخر: [من الطويل]

أيا رَبِّ مثلُ الماجدِ ابن هُبيرة يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر
يموت بيحيى كلُّ فَضْلٍ وسؤدد ويحيا بيحيى كلُّ جَهْل ومُنْكَرِ[1]

السَّنة الحَادية والسُّتون وخمس مئة

فيها عاد ابن المشَّاط الواعظ إلى بغداد، وتعصَّبوا له، فجلس بجامع القَصر، وأظهر البِدَع، ووقعت الفِتَنُ بين الحنابلة والأشاعرة، وكان يقول: هذا كلام الهُدْهُد، هذا كلام بِلْقيس، ما قال الله هذا.

وسُئِلَ عن تفسير التين والزيتون فقال: التين في الريحانيين، والزَّيتون في جميع الأسواق.

وفيها هَرَبَ عِزُّ الدين محمد بن الوزير ابن هُبيرة من دار الخليفة، وأُخذ.

وفيها فَتَحَ نورُ الدِّين العُرَيمة وصافيتا، وهدم قلعتيهما وسوريهما، وعصى عليه غازي بن حَسَّان صاحب منبج، فأخذ منه منبج، وأعطاه الرَّقَّة[2].

[فصل وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم[3]

أبو إسحاق الموصلي الحنفي، تفقَّه على برهان الدين البَلْخي، وناب عنه في المدرسة الصادرية، وسمع منه الحديث وغيره، وكان أبوه قاضياً على الرُّها، وتوفي أبوه في دمشق، وكان فاضلاً ثقة][4].

---

(١) إلى هنا تنتهي نسخة (ع)، ويبدأ الاعتماد على نسخة (ح) وحدها، وهي نسخة فشا فيها التصحيف والتحريف، والله المستعان.

(٢) كذا قال، وهو وهم، إذ لم يعط نور الدين الرقة لغازي بن حسان، بل أعطاها لأخيه قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل، انظر «الروضتين»: ٢/ ٢٤-٢٥، وقد ذكر ذلك أبو شامة نقلاً عن ابن الأثير في حوادث سنة (٥٦٢هـ).

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»» (خ) و (س): ٢/ ٣٦١، و«الجواهر المضية»: ١/ ٦٥-٦٦، و«الطبقات السنية»: ١/ ١٩٨-١٩٩، ووفاته عندهم سنة (٥٦٠هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).